



الآثار الليبية.. حضارة وتاريخ:

الحفاظة على المواقع الأثرية.. مسؤولية من؟!

بعض الأحيان يقومون بإرسال بعض القطع الأثرية النادرة هدايا لرؤساء بعض الدول الغربية طمعاً في خطب ودهم وكسب صداقتهم، مما أدى إلى نشأت كثير من القطع الأثرية على المتاحف الأوروبية التي من بينها على سبيل المثال: متحف اللوفر بفرنسا، والمتحف البريطاني وغيرها من المتاحف العالمية، مما جعل من الصعب حصر جميع القطع الأثرية الموجودة حتى الوقت الحاضر في المتاحف الأوروبية، التي كان من أهمها كثير من الكؤوس الباناثينية، التي كانت تمنح للرياضيين الليبيين، الذين كانوا يفوزون في المسابقات الرياضية، التي كانت تقام على هامش الاحتفالات، التي كانت تجري في أثينا كل أربع سنوات.

ماذا فعل الإيطاليون والبريطانيون؟

وخلال الحكم الإيطالي لليبيا حاولت السلطات الإيطالية الحد من سرقة وتسريب القطع الأثرية إلى الخارج. كما اهتمت الحكومة الإيطالية بإرسال البعثات المتخصصة في مجالات علم الآثار، فكان من بينهم أساتذة الجامعات الذين قاموا بدراسات مستفيضة عن المدن الأثرية في البلاد ومن بينها كل من مدن قورينا، وتوخيرة، وطمينة، وغيرها من المدن القديمة الأثرية في شرق البلاد.

إن الزائر إلى المنطقة الأثرية بمدينة شحات الحالية يشاهد الخط الحديدي الذي كان يستخدم في نقل التماثيل وغيرها من القطع الأثرية من مواقعها إلى معامل الترميم والصيانة ثم إلى المتحف، أو إرجاعها إلى أماكنها الأصلية التي كانت قد وجدت فيها. كما اهتم الإيطاليون بتأسيس أرشيف للصور عام 1916 تم تخصيصه لحفظ صور جميع المقتنيات الأثرية، التي عثر عليها في بعض المواقع المخصصة للتفتيش على الآثار بالمنطقة الشرقية من البلاد، بواسطة البعثات الإيطالية التي اشتملت على حوالي 26 موقعاً أثرياً في المنطقة الشرقية من أهمها:

الجغبوب والبردي وطبرق ومرسى الك ومرتوية ودرنة وكرسنة والأثرون ورأس الهلال وسوسة وملودة وعين مارة والصفصاف والمخيلي والعزيات وشحات والبيضاء ومسة وقصر المقدم ووادي الصنب وقصر ليبيا والمرج وتوكرة وبنغازي واجدابيا وسلطان.

ويكلم تأكيد فإن الإيطاليين قد قاموا أيضاً بترحيل كثير من القطع الأثرية إلى بلادهم حيث ما زالت تعرض كثير من التماثيل، التي كان قد عُثِر عليها في بعض المدن الأثرية الليبية في بعض المتاحف الإيطالية بالمدن الكبرى.

إن كتابات الرحالة والباحثين الأجانب المنشورة قد ساعدت في جذب اهتمامات الكثيرين من عشاق جمع التحف الأثرية، وبخاصة من ليبيا التي تعتبر متحفاً مفتوحاً، حيث تتناثر المدن القديمة الأثرية على الساحل الليبي الممتد لمسافة تزيد على ألف وتسعمائة كيلو متر، فضلاً عن بقية المدن والمواقع الأثرية المنتشرة في جنوب البلاد، التي تمثل بدايات ظهور فنون الرسومات والنقوش



القورينائي أول بيليوغرافي في العالم، والفيلسوف أرسطيبوس، بالإضافة إلى أن القديس مرقس أحد حواريي السيد المسيح عليه السلام قد زارها وعاش فترة زمنية بجوارها، وقام خلالها بتأسيس أول كنيسة في العالم لإتباعه، تم العثور عليها مؤخراً في أحد أوشاز الجبل، حيث يقال إنه قد أتم كتابة إنجيله فيها (إنجيل مرقس)، وغيرهم كثيرون.

سراقات غربية منظمة

إن تعرض المقتنيات الأثرية في مدن شرق ليبيا للسرقة والتخريب قد بدأ منذ القرن السابع عشر، وبالتحديد منذ بدأت أفواج الرحالة الغربيين تجتاح ليبيا، فمن خلال كتابات الرحالة الذين زاروا ليبيا يمكننا التعرف، من خلال إشاراتهم إلى المواقع الأثرية، مدى حرص أولئك الرحالة على الكشف والوصف لأماكن الأثرية مما شجع كثيراً من المغامرين إلى الوصول إلى تلك المواقع واستخراج الكثير من القطع الأثرية وتهريبها إلى

إن الحفاظة على آثارنا تعني الحفاظة على وثائقنا التي تعكس ثقافتنا، هالفرد بدون ثقافة هو عبارة عن فرد بدون ذاكرة، فهل يعقل أن يقوم شخص سوي بالتخلص من ذاكرته؟ أو بمعنى آخر، بيع الآثار الخاصة التي تمثل تاريخه وحضارته؟ وهل يجوز ل فرد أن يطمس تاريخ مجتمعه بكامله مقابل مبلغ من المال؟.. إن هذا التصرف المشين الذي يُقبل عليه بعض الأفراد غير

المتعلمين أصلاً إلى هذا المجتمع العربي، في تراثه وحضارته، يشبه تماماً تصرفات بعض الأشخاص التي ساهمت إلى حد كبير في إتلاف تلك الوثائق المادية، مثل سرقة أو تدمير بعض الأعمال الفنية كالتماثيل أو سربها إلى الخارج، مما أدى إلى ضياعها بشكل نهائي، وحرمان أجيالنا من استثمار هذه الوثائق لنادية الملموسة في التخطيط للحاضر واستشراف المستقبل.

بقلم:

أ.د. إبراهيم أحمد المهدي*



بلادهم بمساعدة وتشجيع بعض قناصل الدول الغربية في البلاد، على الرغم من معارضة سكان بعض المدن الأثرية. أما الولاة العثمانيون فقد ساهموا في تدمير وتهريب ونهب كثير من القطع الأثرية بواسطة الرحالة الأجانب الذين استغلوا بنود اتفاقيات الصداقة المبرمة مع بعض قناصل الدول الغربية مقابل حفنة من المال، حيث كانوا في

إلى عدم توفير المباني الملائمة للكونز الأثرية التي تم العثور عليها يمكن أن يؤدي إلى تلفها وتدميرها، لذا يجب إقامة مباني تتوفر فيها كافة الشروط الصحية المناسبة للحفاظة على هذه الثروة الثمينة من كنوز حضارتنا، فالزائر إلى مدينة (شحات) يلاحظ بدون شك الصير الذي أخذ يهدد بقايا هذه المدينة الأثرية، التي لعبت دوراً بارزاً في تاريخ البشرية، في المدينة التي خرج منها الشاعر كاليماخوس

يخرجان العديد من الكفاءات في مجال الآثار.

ضرورة وطنية مطلوبة

إن المحافظة على آثارنا يجب أن تكون نابعة من حس وطني لدى جميع المواطنين الليبيين يقوم على الحرص على شواهد تاريخنا، التي تمثل في الواقع ذاكرة مجتمعتنا الليبية المعاصرة، وتربط جيل الحاضر بالماضي والمستقبل، مما يساعد في تقدم ورفاهية المجتمع بكامله، ويمكن تحقيق ذلك من خلال نشر الوعي ما بين المواطنين عن طريق وسائل الإعلام المختلفة، مع الاهتمام بأقسام علوم الآثار الحالية برفدها بمزيد من أعضاء هيئة التدريس، مع توفير مصادر المعلومات اللازمة الحديثة وجميع المعدات والتجهيزات اللازمة لمعامل الصيانة والترميم، التي يجب أن تلحق بالأقسام المعنية في الجامعات الليبية مع الاهتمام بالمواقع الأثرية، التي توجد بها المتاحف، بالإضافة إلى تشجيع التعاون مع الأقسام العلمية المناظرة في الجامعات الليبية وغيرها من الجامعات العربية والأجنبية، وتوطيد هذه العلاقات مع المنظمات العالمية لغرض استثمارها في مجال التدريب وتأهيل بعض الخريجين وتشجيع حضور الندوات والمؤتمرات الدولية، هذا مع إعادة تقويم المقررات الدراسية في مجالات التخصص في علم الآثار مع التركيز على تدريس نصوص باللغات الإيطالية والفرنسية والإنجليزية باعتبارها ضمن المواد الدراسية الإلزامية بقسم الآثار، كما أن دعوة أساتذة زائرين من بعض الجامعات الغربية والعربية سوف يساعد في الرفع من مستوى التدريس لطلبية بالإضافة إلى إطلاع أعضاء هيئة التدريس الوطنية بالتقسيم على كافة المستجدات الطارئة في مجال علوم الآثار من خلال تبادل الزيارات العلمية مع الأقسام المناظرة في بعض الجامعات العربية والأجنبية، لكي يصبحوا قادرين على مواكبة كافة التطورات في مجالات اهتماماتهم الموضوعية، ويمكن أن يتم ذلك من خلال إعادة النظر في إجازة التفرغ العلمي، لكي تمنح لعضو هيئة التدريس لمدة سنة دراسية كاملة، وليس كما هو معمول به في الوقت الحاضر في الجامعات الليبية.

وأخيراً يمكن القول إن المحافظة على الآثار ينبغي أن تكون استراتيجية وطنية يجب التمسك بها، وبخاصة وأن مخلفات الماضي قد أصبحت تمثل مصدراً اقتصادياً لا غنى عنه لكثير من البلدان في العالم، بعد أن أصبحت السياحة تمثل مصدراً أساسياً لدخل بعض الدول، مما دفع كثير من تلك الدول إلى الاهتمام بتراثها الأثري، وبخاصة وأن هذا المصدر، على العكس المصادر الأخرى الطبيعية، لا ينضب مع مرور الزمن، فكل مصادر الدخل كالموارد الطبيعية (النفط والمعادن..... إلخ) قد تتناقص أو تزول نهائياً عكس المخلفات الأثرية التي سوف تبقى إلى الأبد إذا ما توفرت لها العناية التامة.

• كلية الآداب - جامعة قاريونس



الصخرية في أفريقيا، كما في تدرارات آكاكوس ورسومات جبل العوينات وغيرها من المواقع الأخرى، التي أصبحت تتعرض للتدمير والسرقة.

عندما خاب ظن إيطاليا في السيطرة على ليبيا، وبعد أن خسرت الحرب مع حليفها ألمانيا، خرجت من البلاد فأصبحت المنطقة الشرقية من ليبيا تحت إشراف الإدارة البريطانية التي قامت بتعيين المستر دوجلاس بعد الحرب العالمية مسئولاً عن مراقبة الآثار في المنطقة الشرقية من البلاد ثم خلفه (جود تشايلد) الذي تم تعيينه مراقباً لآثار المنطقة الشرقية (برقة) عام 1953 - 1967 ف حيث اتخذ من مدينة سوسة مقراً لإقامته الدائمة، وطيلة الأربعة عشر عاماً التي قضاهما (جود تشايلد) في برقة قام بعدة دراسات حول بعض المدن الأثرية في ليبيا، ومن بينها مدينة بنغازي القديمة (يوسبريدس) التي يعود تأسيسها إلى ما قبل عام 515 ق. م حيث تأسست على مرتفع من الأرض كان يحد سيخة السلماني من الطرف الشمالي (مقبرة سيدي عميد السابقة). هذا بالإضافة إلى كثير من الدراسات الأخرى، كما اهتم (تشايلد) بتوظيف كثير من العناصر الوطنية للعمل بجانبه كان من بينهم السيد حسن رجب حسونه الذي تم تعيينه رئيساً لقسم التصوير خلال الفترة الممتدة من 1945 - 1976، ونظراً لما كان يتمتع به السيد حسونه من حس فني نادر في مجال تخصصه فقد ساهم في اختيار العديد من اللقطات التي أنجزت فيما بعد على شكل كروت (بطاقات) تذكارية، وبالإضافة إلى أنه كان يجيد اللغتين الإيطالية والإنجليزية فقد ساعد في إنجاز كثير من الأعمال التي كان من أهمها تنسيق أعمال قسم التصوير وترجمة ما قام به الإيطاليون منذ شروعاتهم في عمليات التنقيب عن آثار قورينا (شحات) وسوسة عام 1916.

وفي عهد الثورة تم تأسيس متحف الجماهيرية بمدينة طرابلس، كما أسست بعض المتاحف الأخرى في بعض المدن الليبية، ولأول مرة تم افتتاح أقسام لدراسة علم الآثار وكان أهمها قسم الآثار بجامعة قاريونس وقسم الآثار في كلية الآداب في جامعة عمر المختار، الذين أصبحا